الجدل والبرهان المنطقي في القرآن الكريم

Controversy and logical proof in the Holy Quran

أ.د. الدراجي زروخي، [1]

قسم العلوم الإسلامية جامعة محمد بوضياف–المسيلة

dzerrokhi@yahoo.fr

د. أحمد الزايدي

قسم العلوم الإسلامية جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ahmed.zaidi@univ–msila.dz

تاريخ الاستلام: 2021/01/22 تاريخ القبول: 2021/06/17 تاريخ النشر: 2021/07/01

ملخص:

يعتقد بعض من المستشرقين أن النص القرآني يفتقر إلى النمط المنطقي، كما أنه يخلو كليا من الجدل والبرهان والحجة، ذلك أن الإسلام يعتمد على القوة والجهاد في فرض تعاليمه، كما حاول بعض المفكرين تزييف حقيقة منطقية النص القرآني والقول بأنه مجرد نص عادي، وهذا ما سنفنده من خلال تناولنا لبعض النصوص القرآنية التي احتوت النمط المنطقي والجدل البرهاني

كلمات مفتاحية: القرآن، المنطق، الجدل، البرهان، العقل

Abstract:

Some of the orientalists believe that the Qur'anic text lacks a logical pattern, and is completely devoid of controversy, proof and argument, because Islam relies on force in imposing its teachings. By addressing some of the Qur'anic texts that contained the logical pattern and demonstrative controversy

Keywords: The Qur'an, logic, argument, proof, reason

---

[1] –**المؤلف المرسل: الإيميل:** أ.د الدراجي زروخي جامعة محمد بوضياف–المسيلة/ dzerrokhi@yahoo.fr

1/ مقدمة

يتفق العديد من الباحثين في التراث الفلسفي اليوناني على أن الفكر اليوناني فكر له أصوله وله قواعده واتجاهاته المختلفة، ويعتبر المنطق الأرسطي أحد أهم إنجازات هذا الفكر على مر العصور فهو منهج يرشد العقل ويوجهه ويحول دون وقوعه في الخطأ، وهو الميزان والمعيار الأساسي لمعرفة التفكير الصحيح، فكان بذلك محط اهتمام العديد من الفلاسفة والمفكرين بغية تنظيم الجدل والحوار، ويعتقد بعض الفلاسفة خاصة من المستشرقين أن الفلسفة الإسلامية خاوية من هذا النمط المنطقي الجدلي وأن النص القرآني نص يخلو كليا من الجدل والبرهان والحجة، غير أن الكثير من مفكري الإسلام يعتقدون ان النص القرآني نص محكم منطقيا فما هي حجتهم في ذلك؟

2/ تعريف المنطق

لا يمكن أن نتطرق للجدل والبرهان خارج نطاق المنطق، لأن المنطق هو الضابط لقواعد الجدل والبرهان، وفيما يلي توضيح لمعنى المنطق وضرورته.

1-2- التعريف اللغوي

يعرف المنطق في اللغة على أنه "علم موضوعه الحكم التقديري، التقويمي بقدر انطباقه على التمييز بين الصدق والكذب" (أندري لا لاند، 2001، ص 742)، أي الحكم بكون الشيء صحيحا أو خاطئا بناء على مجموعة من القواعد، وهو وسيلة العقل للتعرف على الصواب وتجنب الخطأ كما يعرف على أنه " علم حقيقي وهو جزء لا يتجزأ من الفلسفة موضوعه الاستدلالات ويشتمل على الخطابة والجدل (جول تريكو 1992،ص21) ، بمعنى أن المنطق علم يدرس المبادئ ويناقش الأحكام وهو العلم الذي توزن به الحجج والبراهين.

وكلمة المنطق تعود في الأصل إلى النطق، ونقصد به تلك القوة التي أوجدها الله تعالى في الانسان والتي تميزه عن سائر المخلوقات الأخرى ألا وهي العقل، وعليه يعرف الانسان في الكثير من

الأحيان عند المناطقة على أنه حيوان ناطق – ويرى المفكر والمنطقي الجزائري محمود يعقوبي أن مفهوم الانسان هو المفهوم الوحيد الذي ضبط ضبطا منطقيا على أكمل صورة منطقية– والمقصود به أن النطق عبارة عن تلك الأصوات التي يظهرها اللسان، فالمراد بالناطق هو الذي يملك صوتا، أما عند المناطقة فالنطق هو تلك القوة الباطنية التي يكون النطق بها، وهذه القوة موجودة عند كل البشر، وبالتالي فإن فعل التعقل مرادف للنطق خاصة وأن الكلام هو ذلك الانعكاس الداخلي للفكر، يظهر المنطق في اللغة كمرداف للكلام فيقال نطق: نطق الناطق ينطق نطقا: أي تكلم والمنطق: هو الكلام والمنطقي: هو البليغ، وكلام كل شيء منطقه. (محمود يعقوبي ، 2000، ص62)

ويقول ابن فارس" النون والطاء والقاف: أصلان صحيحان أحدهما: كلام أو ما أشبهه والآخر: جنس من اللباس، الأول: المنطق والآخر: النطاق" (ابن فارس، 1411م ص 440)

2-2- المعنى الاصطلاحي

من خلال التعريفات السابقة التي وضعت للمنطق في المعاجم اللغوية فإن كلمة المنطق في الأصل لفظ عربي المصدر، وليست ترجمة حرفية للمصطلح اليوناني (logos) فهي مرادفة للفظ النطق لتدل بذلك على معنى الكلام، وقد استحدث هذا اللفظ من طرف المناطقة، وحاول الفارابي تسويغه وإيجاد معنى مناسب له فيقول" صناعة المنطق، واسمها مشتق من النطق، وهذه اللفظة تدل عند القدماء على ثلاثة أشياء: (القول الخارج بالصوت والذي تكون به عبارة اللسان عما في الضمير (أي الكلمات من حيث هي أصوات) الثانية: القول المركوز في النفس، وهو المعقولات التي تدل عليها الألفاظ (أي المعقولات أو المعاني التي تدل عليها الألفاظ) الثالثة: القوة النفسانية المفطورة في الإنسان، والتي بها يميز وبما يحصل المعقولات والعلوم (أي المفكرة في الإنسان أو العقل)" (أبي نصر الفارابي، ، 1996، ص 36،37.)

وورد في معجم الجرجاني أن المنطق هو آلة قانونية تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ (محمود يعقوبي 2000، ص ،63 64). فالمنطق بذلك هو العلم الذي يبحث في التفكير الإنساني من حيث الصحة والفساد، بقصد الاهتداء إلى القواعد العامة التي يجب توفرها في التفكير.

خلاصة القول هو أن المنطق علم يبحث في قوانين الفكر بغية الوصول إلى اليقين من خلال آلية التمييز والحكم بين صواب الأمر وفاسده، وكذا تنظيم الاستدلال أي أنه يدرس المبادئ العامة للفكر الحق، فهو العلم الذي يدرس أشكال التفكير، أي جملة القواعد التي يلتزمها الإنسان بغية الحصول على معلومات جديدة يضيفها للمعارف التي لديه، فتكون بمثابة العاصم والموجه لتلك المعارف من أجل تجنب الوقوع في الخطأ.

3/ الجدل في القرآن الكريم

لقد جاء الخطاب القرآني كخطاب منسجم وموافق لطبيعة الإنسان وفطرته على مستوى التفكير أو السلوك أو الوجدان هاديا وموجها غير غافل عن الطبائع النفس الإنسانية بل مراعيا ومقوما لها ويعد الجدل أحد الطبائع التي فطر عليها الإنسان باعتباره كائن فضولي يبعث عن الحوار والمناقشة والاقناع.

1-3-الجدل القرآني

بين القرآن الكريم أن الإنسان أكثر شيء جدلا، فهو الذي يمارس الجدل كطبع في حياته، في كل الأمور التي يعيشها، فقد خلق الله الإنسان كمخلوق متحرك في فكره، وفكر الإنسان ينطلق ليواجه كل ما يعرض عليه من قضايا، وما يعيشه من أوضاع، وما يبصره أو يسمعه أو يراه في هذا الكون، وهذا ما يجعل الإنسان ينطلق في فكرة معينة هنا وأخرى هناك، ليقابله إنسان آخر بفكرة قد تكون مضادة لفكرته، ومنه يتحرك الجدل، في خط مستقيم ليصيب الواقع، أو في الفكر الذي ينطلق في خط الانحراف ليبتعد عن الواقع. "كما أن الجدل شأن اجتماعي لا يمكن أن تخلو منه أمة، نظرا للاختلاف الموجود بين الناس في معتقداتهم وآرائهم قال تعالى﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون

مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾الآية " 118، 119 سورة هود" (عثمان علي حسين ، 1999، ص52)

وبالتالي فإن الإنسان بالفطرة يميل إلى المناقشة والجدل، فجاء التشريع الإلهي آمرا إياه بالجدل بمفهومه الصحيح والحسن، ليكون الجدل أحد وسائل التفكير والعمل، وقد تنوع مجالات الجدال في القرآن الكريم بتنوع صور الفساد الذي كان شاملا لمختلف العقائد والأديان السابقة لظهور الخطاب القرآني فيمثل الجدل القرآني تلك البراهين والأدلة المستعملة والآخذة بيد الخصم بغية إقناعه وقبوله الحق سالكا الطريق البرهاني العقلي والمنطقي.

2-3-مشروعية الجدال في الخطاب القرآني

الجدل ميزة ربانية لأن الإنسان يتميز عن غيره من الكائنات بجدل خاص وهو الجدل الفكري، وقد كان الجدال مشروعا في القرآن الكريم ومن الأدلة المؤيدة لمشروعية الجدال في القرآن الكريم نذكر ما يلي:

أ/ قال تعالى﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾ الآية "33 سورة الفرقان" ، فالكفار وأهل الباطل يأتون بالأقيسة العقلية والحجج فضرب الله المثل بما هو أحسن وأوضح من حجهم وقال عز وجل﴿ أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين﴾ الصافات الآية" 156، 157 " .فكل إنسان مفكر يمارس الجدل في علاقته مع نفسه ومحيطه، وبالتالي فإنه مرتبط بالحكمة والموعظة والإرشاد والتصويب لأن هدفه السمو بالتخاطب إلى أعلى مراتب التواصل، ومن الأدلة أيضا على مشروعية الجدال ثناء الله على من أخذ بمجامع الحجة، مثال ذلك ثناء الله على سيدنا إبراهيم في أخذه بمجامع الحجة بل وأضاف الله الحجة التي أتاها إبراهيم عليه السلام لنفسه تعظيما لشأنها وحثا على تحصيلها.

ب/ قال تعالى﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴾الأنعام الآية"83". فالمتأمل في القرآن يراه مملوء بجدال أهل الباطل وحجاجهم بأحسن الطرق وأوضح البراهين وأقوم الحجج وتقرير قواعد فن المناظرة في القرآن الكريم، وبعد من أقوى الحجج على مشروعية المناظرة فقواعده مؤصلة في الخطاب القرآني يقول ابن القيم " إن القرآن مملوء بالاحتجاج وفيه جميع أنواع الأدلة والأقيسة الصحيحة" (احمد بن براهيم العثمان، دت، ص29، 37). ودعى المولى عز وجل في كتابه الكريم إلى الجدل غير أنه ينبغي للمجادل أن يتسلح بالعلم فتقوم حجته وبراهينه على أسس متينة تستمد صحتها من صحة مقدماتها ونتائجها، فالقرآن لا ينكر الجدل ولا يضيق به، بل قد أطال القرآن الكريم الجدال في كثير من المواقف وبسط الحجة فيه، ودليل آخر في مدحه للخصام لإظهار الحق قال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون﴾ النمل الآية 45، فالدعوة إلى الله توجب المناظرة وقال تعالى ﴿ وإن أحد بين المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ التوبة الآية 06، فالجدال بالحق إحباط للكافرين قال تعالى : ﴿ ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح ﴾ التوبة الآية 12. فالجدل هو طريق التصديق والايمان الحق(محمود يعقوبي،2000، ص 62). لقد سلك الخطاب القرآني طريقا صارما من خلال طرحه لأدلته بطرق الإقناع والتوجيه والإرشاد كما جاء بطرق الإلزام والإفحام، فجميع الأدلة القرآنية إلزامية، لسلامتها من التناقض والاختلاف، وطرق الاستدلال القرآني في الرد على الخصوم تنوعت غير أنها لا تخرج عن إطار الفطرة والبداهة، وأنها طرق تعتمد على الحجة المستقيمة الموصلة لليقين.

4/طرق الاستدلال القرآني

لخصها محمود يعقوبي في كتابه المنطق الفطري في القرآن الكريم وتتمثل فيما يلي:

1-4--قياس الإضمار

وهو قياس حذفت منه إحدى المقدمات باعتباره قياس ذهني تام بينما نقصه يكون في اللفظ فقط يقول عزو وجل﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾آل عمران الآية" 59،60 "، وهذه الآيات تحمل دليلا مبطلا ذلك التفريق ببنوة عيسى على حساب آدم فكان الرد بإثبات ومماثلة عيسى لآدم في الخلق. إن آدم خلق من غير أب كعيسى عليهم السلام جميعا، فلو كان عيسى عليه السلام ابنا بسبب ذلك لكان آدم أولى، لكن آدم ليس ابنا باعترافكم، فعيسى ليس ابنا أيضا (محمد أبو زهرة، 1934، ص 64، 65). إن عيسى خلق من غير أب كمثل آدم الذي خلق من غير أب ولا أم بقدرة الله، فلما كان الله قادرا على أن يخلق آدم من غير أب ولا أم، كان أسهل عليه خلق عيسى عليه السلام بدون أب فقط، وهو موجود أيضا في الآية الكريمة:" ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ يس الآية 79، والتي تجيب عن التساؤل الذي تضمنته الآية التي قبلها ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم ﴾ يس الآية 78، وفيها ردا وإقناعا لمنكر البعث بعد الموت الذي كان يقر بصدق المقدمة الصغرى لأنه يعلم أن لا شيء يخلق نفسه، وأنه لم يهب الحياة لنفسه لترد الآية على الصورة المنطقية التالية :

كل من خلق أول مرة، قادر على أن يعيد الخلق / والله خلق أول مرة / إذن الله قادر على أن يعيد الخلق

2-4-قياس التمثيل

قياس التمثيل هو انتقال الذهن من حكم معين إلى حكم معين وقد شغل أسلوب ضرب الأمثال مساحة كبيرة من الاستدلال القرآني على قضاي الاعتقاد، ويرى ابن القيم أن القرآن الكريم قد اشتمل على بضعة وأربعين مثلا، تتضمن تشبيه الشيء بنظيره، والتسوية بينهما في الحكم فالتشبيه شعبة من قياس التمثيل ومن شواهده قوله عز وجل ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ يونس الآية 13، ويقول الطبري أن الله أراد أن ضرب مثلا

لمكذبي الرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن جزائهم سيكون كغيرهم من المكذبين بالله وبما جاء به رسله إن لم يتوبوا إلى الله (أحمد بن عبد السلام الريسوني، 2014، ص 358 ، 357) . إن قياس التمثيل يعد أقرب صور الاستدلال إلى الفطرة، ونحكم على الشيء من جزئه بناء على وجود ذلك الجامع المشترك بينهما. وقد وردت في القرآن الكريم العديد من أدلة البعث تقوم على قياس التمثيل ومنه قياس الغائب على الشاهد بالمماثلة بينهما قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ الحج الآية 07" وهو موجود في كتاب الله في مواضع عديدة (عثمان علي حسن، 1999 ص 404).

3-4- قياس الخلف

وهو إثبات الأمر بإبطال نقيضه، لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان وقياس الخلف في القرآن: إبطال الباطل الذي هو نقيض الحق لإثبات الحق كالاستدلال على التوحيد بإبطال الشرك يقول المولى عز وجل﴿ وما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾المؤمنون الآية 91. فنظام الكون المحكم والمتقن يدل على أن خلقه واحد لا شريك له، وهو ما يسمى بدليل التمانع في الخلق، أي إذا امتنع بالحس اختلال نظام الكون وثبت بالحس دقة صنعه، امتنع أن يكون له أكثر من خالق وهو يماثل قوله تعالى﴿ ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾الأنبياء الآية 22. فيسمى قياس بالخلف (محمود يعقوبي، 2000 ص 72، 73). أي الانطلاق من مقدمة الخصم الكاذبة ليصل إلى النتيجة التي تظهرها دعوته أي الوصول إلى مقدمات صحيحة. وقد اتجه القرآن الكريم إلى ذلك في استدلاله لإثبات وحدانية الله تعالى في قوله سبحانه عز وجل﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله

رب العرش عما يصفون ﴾وقوله أيضا﴿ وما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ﴾. وقوله عز من قائل﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ﴾فهذه الآيات كلها تبين استناد الخطاب القرآني الى قياس الخلف.

5/مجالات الحجة القرآنية

إن الجدل ظاهرة إنسانية عالمية ووجودها لا يقتصر على الجنس البشري فقط، فالملائكة والجن أيضا أخذت حقها في الجدال، لكن ليس بالقدر الذي حظي به الإنسان، فالنفس البشرية جبلت على حب الدفاع عن نفسها، وهذا الدفاع مقترن بالجدل كسلاح قال تعالى ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ النحل الآية 111 ، فالجدال بمعناه العام يعود إلى نزعة البيان والإفصاح المودعة فطريا في الإنسان لإظهار مبدأ أو نصرة حق يقول ابن خلدون " وأما العلوم العقلية التي هي طبيعة للإنسان من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة" (عثمان علي حسين، 1999 ص 54،52). وقد مثل السؤال عن الحكمة من خلق الإنسان، وهو جدال ورد على لسان الملائكة، وقد توجه به الخطاب القرآني إلى الإنسان ليعرف الحكمة من خلقه، وهو ما خفي عن الملائكة والغرض من هذا الجدال الرفع من شأن الإنسان، وتتمثل أصناف الجدال الموجودة في النص القرآني فيما يلي:

1-5-جدال الملائكة

أول من سن الجدال هم الملائكة قال تعالى﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾البقرة الآية 30. وهو استدلال بالترجيح والأولوية منهم فهم المسبحون والمقدسون، وبالتالي هم أحق وأولى بالإيجاد ممن يفسد فيها ويسفك الدماء، وكان جواب الله تعالى لهم بالترجيح لعلمه

بالذي ظنوه فيهم ووصفوهم به " (ابن حنبلي، 1996، ص 31). فيخبر الله سبحانه وتعالى الملائكة بمشيئته في خلق الإنسان والحكمة من خلق هذا الكائن فيعرفهم بحكمته، لأنهم سيسألون عن سبب الخلق، ليجيبهم الله جل جلاله ويذكرهم بعلمه الواسع وحكمته التي تخفي عليهم.

2-5-جدال إبليس

ويعد إبليس أول من أظهر الخلاف، وركب العناد، أما الفرق بينه وبين الملائكة أنه أفتى ودل في مسألته فانقطع في مجادلته وخسر وظهر فساد تعليله، وازاغته عن الصواب في تأويله. بخلاف الملائكة إذ لم يظهروا الخلاف ولا العصيان بل طلبوا بسؤالهم الإيضاح والبيان" (محمود يعقوبي، 2000، ص 120). قال تعالى ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أني كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ ص الآية 71-85. إن هذه الفكرة نلمس أثرها فيما ذهب إليه محمود يعقوبي في تحليله فإبليس أبى وتعال عن السجود وقد سأله الله عز وجل عن المانع من السجود مع علمه به ليظهر إبليس عناده وكفره وافتخاره بأصله وإعجابا بنفسه لأنه خلق من نار واحتقاره لأصل آدم الذي خلق من طين.

3-5-جدال الأنبياء وأقوامهم

وقد جاء هذا الجدال لإظهار عناية الله بعباده الذين نسو نعمه عليهم فتركوا عبادته والعمل بشريعته وبالتالي أنكروا ألوهيته وعليه أرسل الله رسله ليعيدوهم إلى عقيدة الله وشريعته، وهذه الدعوة لا تتم إلا بالتنبيه والإقناع مستعينين بتلك القدرات العقلية الفطرية التي يشترك فيها العامة والخاصة فيلفتون أنظارهم

إلى قيمة الشروط التي تتوقف عليها حياتهم، والتي يعملون بها بمقتضى مبدأ العلية الفطري الموجود فيهم (محمود يعقوبي، 2000، ص 50). ومثال ذلك جدال نوح عليه السلام مع قومه قال تعالى﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾هود الآية 25-27. فقد أرسل الله نوحا إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة ربهم فكان ردهم بإنكارهم واعتراضهم عليه.

يرد عليهم نوح بالحجة العظمى وهي الحجة التي أضافها الله عز وجل إلى نفسه في قوله ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾" (ابن حنبلي، 1996، ص 31) .فأجاب القرآن على لسان نوح عليه السلام ﴿ ويا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزآئن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتيا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء يما تجرمون﴾ هود الآية 27-35.

4-5-جدال إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

إن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم واضحة كل الوضوح في جميع مراحلها، وكغيره من الأنبياء والرسل واجه اعتراضا لترد عدة أدلة على نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام وتوجد أدلة وبراهين قاطعة تقوم على أربعة أصول هي" أما الأول فإخبار الأنبياء قبله، ووصفهم له في كتبهم. أما الثاني النظر في قرائن أحواله. أما الثالث فهو الكتاب العزيز أما الرابع ما ظهر على يديه من خوارق العادات. وجاء في إخبار

الأنبياء السابقين عنه بقدومه ما يلي «جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران، ومعه جماعة من الصالحين" فمجيئه من جبل سيناء يعني أن الله أنزل فيه التوراة وكلم عيسى. وإشراقه من جبل ساعير شرق دين المسيح. واستعلانه من جبال فاران أن الله قد بعث محمدا منها وأوحى إليه فيها فلا اختلاف أن فاران تني مكة وقد قال في التوراة " إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران" (ابن المزين دت، ص34،31). وقد جاء في التوراة أن موسى عليه السلام كليم الله بشر بمحمد عليه الصلاة والسلام بقوله "إن نبيا مثلي سيقيم الرب إلهكم من إخوانكم أبناء إبراهيم وثبت هذه العبارة أنه محمد صلى الله عليه وسلم فلم يأتي نبي بعد موسى بشريعة كاملة تبين كل الأحكام غير القرآن الكريم...لا يبشر بالنبي فقط بل ويبين مكان الرسالة، ومباعثها التي تعم مشارق الأرض ومغاربها"(محمد أبو زهرة، دت، ص 66) كما جاء في الزبور ترجمة وهب ابن منه، يقول الله لداود عليه السلام في المزمور الخامس: اسمع ما أقول ومر سليمان، فل يقله للناس من بعدك: إن الأرض لي أورثها محمدا وأمته. فهم خلافكم ولم تكن صلاتهم بالطنابير، ولا قدسوني بالأوتار (ابن المزين، دت، ص 37) .

وأكد محمود يعقوبي من خلال توضيحه لمجالات الحجة القرآنية خاصة تلك التي تتعلق بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قد خلق على حقيقة بشريته، وكونه بشرا لا ينفي عنه النبوة، وهو ما يدعمه قوله تعالى﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ﴾الكهف الآية 110. ويقول ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ إبراهيم الآية 10، 11، وقد رد الله على هذين الاعتراضين بحجتين مؤكدا على أن الرسل بشر لكن لا مانع من إرسالهم لبشر مثلهم، وأن السلطان يكون بإذن الله كرسالة تامة، " أما النوع الثاني فهو استدلال على نبوته بقرائن أحواله حين حملت أمه به قيل لها "إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمدا". ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به بصري من أرض الشام.

وقالت أم عثمان الثقفية "حضرت ولادة رسول الله، فرأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورا، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علي وولد مختونا" (ابن المزين، دت، ص 52) .أما النوع الثالث فهو الاستدلال على نبوته بالكتاب العزيز قال تعالى :﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ فصلت الآية 42، وقد جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الحكيم، فعرضه عليهم وأسمعهم إياه، واستدل على صدقه بذلك، وقال لهم "إن كنتم في شك من صدقي، فائتو بقرآن مثله" وقد عجز قومه عن الإتيان بمثله فقال لهم ﴿ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ الإسراء الآية 88 . وفي هذا التحدي إحكام لكتاب الله (ابن المزين، دت، ص 112،111). ليظهر عجزهم بالرغم من أهم الفصحاء والبلغاء. وقد تبينت حجته ووضحت محجته بعجزهم وغيرها من الأدلة التي ساهمت في توضيح هذا المجال.

6-5-إثبات الألوهية ونفيها

أما عن هذا المجال فيري محمود يعقوبي أنه قد تضافرت العديد من النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها يقول عز وجل﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾البقرة الآية 21، وقوله﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾النساء الآية 36 . كما بين أنه الأساس لوجود الخليقة كما قال تعالى﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾الذاريات الآية 56 ، وفي موضع آخر يوضح أن عبادته وتوحيده هو القصد من إنزال الكتب الإلهية، يقول المولى تبارك تعالى ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ النحل الآية 02.

وقد وردت العديد من الأدلة في القرآن الكريم التي تنفي الألوهية عن الله في العقائد الفاسدة وأخرى تثبتها، ولعل ما عاناه إبراهيم عليه السلام في بيان فساد عقيدة قومه الذين انتشر السحر بينهم والتنجيم وعبادة الكواكب، لأن حياتهم كانت مرتبة على معارفهم الفلكية ومبنية على اعتقادهم في تأثير الأجرام السماوية عليهم دليل دامغ يقول الله تعالى ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ

قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتيك فاتبعني أهديك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾ مريم الآية 41، 46

فإبراهيم عليه السلام كان بصدد مخاطبة والده بنهيه عن عبادة ما لا ينفعه مقدما الأدلة العقلية التي تبرهن على بطلان وزيف ما يعبدونه ليقدم له بديلا وهو التوجه إلى فاطر السماوات والأرض، وهي ركيزة أوجدها الله للتأكيد على فكرة ألوهيته مرشدا إياه إلى طريق بإتباعه له ناهيا إياه عن طاعة الشيطان لأن طاعته تعني عبادته " ليبين إبراهيم عليه السلام أنه لا منفعة في طاعتها ولا مضرة في الإعراض عنها، فوجب أن لا تحسن عبادها وهي حجة قائمة على التمييز البديهي بين القادر والعاجز والمستحق للعبادة وغير مستحقها" (ابن المزين، دت، ص 53)

في هذه الآيات يتضح لنا كيف استعمل إبراهيم عليه السلام تلك الحجة المقنعة فمن يغيب لا يستحق الألوهية "وهو تساؤل لا يخرج عن فطرة الإنسان التي تقر بمبدأ العلية ليوسع مجال السببية ويشمل حركة الكواكب المؤلهة ليتبين أنها ليست الفاعلة لحركتها ولا لحركة غيرها بل هي منفعلة بفعل فاعل حكيم(ابن المزين، دت، ص 52)،لأن من نعبده ينبغي أن يبقى ساهرا قائما مدبرا لشؤون عباده.

ومن هنا تظهر لنا الجوانب التي استعمل فيها الخطاب القرآني الجدال القائم على الحجة الفطرية، ويعد جدال ابراهيم مع النمرود وكذا جدال موسى مع فرعون دليلين على إنكار ألوهية الإنسان، يقول الله تعالى في ذلك﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾البقرة الآية 258. ليتضح من هذا جدال صدور معارضة فاسدة عن النمرود لأن حقيقة الإحياء والإماتة التي فسرها النمرود غير التي يقصدها إبراهيم، ليبرهن

بعدها على ربوبية الله بذكر حجة لا تخرج عن الفطرة الإنسانية التي تقر بمبدأ السببية ليتوسع هذا المجال فيشمل حركة الكواكب والنظام الذي تسري عليه فيقر أنها ليست فاعلة لحركتها، بل هي منفعلة بفعل فاعل والأكيد أنه ليس النمرود فلا سلطان له على الشمس في طلوعها وغروبها.

7-5--مجادلة الملحدين ومنكري البعث

تعد مجادلة الملحدين أهم مجالات الحجة الفطرية التي سعي محمود يعقوبي لإيضاحها في حديثه عن منكري وجود الله، والملاحدة لا يؤمنوا بوجود خالق واحد خلق السماوات والأرض وقد ذكرهم الله تعالى بقوله﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾الجاثية الآية 24، فيزعمون أنهم على الأرض وجودوا عبثا "وأن تولد الأشخاص كان بسبب حركات الأفلاك الموجبة لاقترانات الطبائع. وإذا وقعت تلك الاقترانات على وجه خاص حصلت الحياة وإذا وقعت على وجه آخر، حصل الموت. وبالتالي فإن الموجب للحياة والموت هو تأثيرات الطبائع وحركة الأفلاك فجمعت هذه الطائفة بين إنكار الإله وبين إنكار البعث والقيامة. وقد استعمل القرآن الكريم حجتين فطريتين ضدهم وقد ورد ذكرهما في آيات كثيرة تجتمع كلها في دليلين هما دليل العناية والاختراع"(محمود يعقوبي، 2000، ص56)" قال تعالى﴿ ألم نجعل الأرض مهادًا والجبال أوتادًا وخلقناكم أزواجًا جعلنا نؤمكم سباتًا جعلنا الليل لباسًا وجعلنا النهار معاشًا وبنينا فوقكم سبعًا شدادًا وجعلنا سراجًا وهاجًا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجًا لنخرج به حبًا ونباتًا وجناتٍ ألفافًا ﴾النبأ الآيات من" 6 – 16 ". فيرى ابن رشد أن استقراء الكتاب العزيز يظهر تلك الطريقة الشرعية التي أوردها الله في كتابه العزيز، تؤكد هذه الفكرة على الإقرار بوجود الباري فتنحصر هذه الطريقة في جنسين هما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات وتنبني هذه الطريقة على أصلين أحدهما أن جميع الموجودات موافقة لوجود الإنسان أما الأصل الثاني أن هذه الموافقة ضرورية من قبل فاعل القصد لذلك مريد فلا يمكن أن تكون هذه الموافقة بالإتقان مصادفة (ابن رشد، 1998، ص 118)

نفس الفكرة نجد أثرها عند محمود يعقوبي فالأصل في دليل العناية هذا الوارد في هذه الآيات هو كل ما يشاهده الناس من توافق الكائنات الحية بعضها البعض، والموجودات الحية لتلك غير الحية بحيث يستحيل في العقل البشري أن تكون قد حصلت بالمصادفة.

أما الطريقة الثانية ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل وهذه الطريقة تنبني على أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس أحدهما: أن هذه الموجودات مخترعة، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات كما قال تعالى﴿ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾الحج الآية 73، فإن رؤيتنا للأجسام وما يحدث فيها من حياة يجعلنا نعلم قطعا أن هناك موجدا للحياة ومنعما بها. وأما السماوات فنعلم من قبل حركاتها، التي لا تفتر أنها مأمورة بالعناية ومحمية من طرفها، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة (ابن رشد، 1998، ص 118، 119)، وأما الأصل الثاني فهو أن كل مخترع فله مخترع. فيصح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلا مخترعا له وصانع لكل ما فيه، وفي هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات، ولذلك كان واجبا على من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقي (ابن رشد، 1998، ص 118). قال تعالى ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ الأعراف الآية185 فالأصل في دليل الاختراع هو كل ما يشاهده الناس من حدوث العناصر الطبيعية الخالية من الحياة، والتي إذا جمعناها بنفس النسب التي توجد بها في الكائن الحي، فإن الحياة لا تنبعث فيها، والتي تزول منها الحياة حتى مع بقائها على تركيبتها عند وجود الحياة فيها يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق ﴾ الطارق الآية 6،5 . فهذه الآيات وغيرها تفحم كل من أنكر حقيقة الخالق وتفرده بالألوهية، وتسكت كل من أنكر البعث والنشور ولا ينكر قوة الجدل القرآني إلا جاحد أو معاند.

6–خاتمة

نستنتج من التحليل السابق أن المنطق ليس حكرا على اليونان والجدل ليس غريبا عن النص القرآني وهذا ما يظهر في غير ما آية من كتاب الله عز وجل، بل إن قوة الخطاب القرآني مستمدة من قوة منطقه وحسن جدله وإحكام براهينه، والإيمان البرهاني عند الانسان المسلم مبني على مدى قوة فهمه للمنطق القرآني والجدل داخله، ويكاد يكون النمط البرهاني في القرآن الكريم أساس تماسك النص وأساس اقتناع المخالفين له به، ولو لا هذا التماسك المنطقي العقلاني لسهل على أعداء الإسلام تفنيد الآيات القرآنية وتبيين تهافت الخطاب القرآني.

الهوامش

-ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وشرح: محمد عابد الجابري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.

-ابن حنبلي: استخراج الجدال من القرآن الكريم، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد صبحي حسن حلاق، ط1، مؤسسة الريان، لبنان، 1996.

-ابن المزين: إثبات نبوة محمد، تحقيق ودراسة: أحمد آيت بلعيد، دت، دار الكتب العلمية، لبنان.

-ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة النطق، تح: عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت.

- أبي نصر الفارابي : إحصاء العلوم، قدم له وشرحه وبوبه على بوملحم، ط1، دار ومكتبة الهلال للدراسة والنشر، بيروت، 1996.

-أحمد بن عبد السلام الريسوني: التجديد الأصولي نحو صياغة تحديدية لعلم أصول الفقه، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الو.م.أ، 2014.

-احمد بن براهيم العثمان: أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، دت.

-أندري لا لاند: موسوعة لا لاند الفلسفية، مادة المنطق، مج2، ط2، تعريب: أحمد خليل أحمد، منشورات عويدات، بيروت -باريس، 2001،ص 742.

-جول تريكو: المنطق الصوري ترجمة محمود يعقوبي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992.

-محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ط1، دار الفكر العربي، 1934.

- محمد أبو زهرة: خاتم النبيين، مج1، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.

-محمود يعقوبي: المنطق الفطري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.

-عثمان علي حسين: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، ج1، ط1، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية، 1999.